إدريس الملياني

دوناتوس

١ - برولوجِ
في البدء كان البحر
مسكوناً بدهشته الأليفةِ،
يحضن الأنهار، مفتوناً بحوريّاتها،
ملكاً على عرش الجداولِ
والقبائلِ
والقرى الموصولةِ الظل
بالتينِ
والزيتونِ
والنخلِ
أهزوجةً من سهل سوسٍ،
رقصةً ريفيةً حرّى،
على إيقاع
مزمارٍ وطبلِ
تأخذ امرأة إمِلْكيليّةٌ
بذراع
فارسها
وتدخل خيمةً
ليزفها
شيخٌ إليه: باسم دوناتوس!
كانت تكتب الأرضُ
اعتراف البحرِ،
في قدّاسها اليوميِّ
تكتب وهو يملي
طوبى لدوناتوس بعلي!

٢ - قدّاس
أيها الإيلُ الجليلُ
تجلَّ في
بيتٍ لنسكنه
وفي تمرٍ لنأكله
وفي ركن التعارفِ
كي نبثَّكَ لوعةَ العشَّاقِ
أشواقاً مضمّخةَ الرسائلِ
ليس يحملها إليكَ
بريدُ ساعٍ
أو رسولُ
أيها الإيلُ الجليلُ
تجلَّ فيَّ لأرتديكَ
وترتديني جُبةً
منسوجةً بيديكَ
من جلد الوعولِ
أيها الإيلُ الجليلُ
تَملَّ فيَّ تملَّ فيكَ
تجدْ كَنيي «عبداً وربّاً
إنه إثنانِ «ـ ليس له مثيلُ
أيها الإيلُ الجليلُ
تجلَّ في
عنقاءَ مُغْرِبةٍ
لنبدأ من جديدٍ،
دورةَ التكوينِ من جيل لجيلِ
طوبى لدوناتوس طفلي!

٣ - سورة العنقاء
يووو يويويو يووووه!
زغرودةٌ مسدودةُ الأصداء

تأتي بهاء الأنواء
يووويا يهوه!
ينهض من رماده العنقاء
يدور حول نفسه البيكار
في برزخ من نار
عاصفةً هو.. جاء جاء
من ظلمة العَماءِ للضياء
أسراره مكشوفةٌ
وكشفه أسرار
يمشي على الماء ويمشي في الهواء
مستأنساً بوحشة الصحراء
وضائقاً بِسعَةِ السماء
يدخلُ في سَمِّ الخياط والبحار
يبرق أو يرعد أو يمطر بالأنوار
كأنه الطوفان فان
والعصف والأركان
والرب والإنسان
هو «الحمى والحي» والأحياء
«عبد ورب إنه إثنان»
من طين آدمٍ ومن طينته حواء
تعشقه الحور ويهوى حوريات الماء
يردُّني مني إليَّ كلما استوى
على الجوديّ فلكٌ، واستوى الربان
في ركنه المَصونِ، فوق عرشه الوضّاء
على الجبين هالةٌ بيضاء
يُخبر عنّي ويقولني بلا أسماء
كنْ بي جديراً، كنْ دليلي أيها العنقاء
أكنْ لك الدليل في الإسراء
الحمدُ لي إزار
والحب لي رداء
يا رائياً لي في دجى الظلماء
«ما في الديار
سوى ملابس» ي ومالي
في الورى إلا هيولى من هَباء
أنا حضيض القبة الزرقاء
والطائر الخِمليقُ في الجوزاء
كي
أصل
اخلعْ ليَ العذار
لكَ
في
ولي
لي

٤ - ترتيل

طووووبَى لِدُ ووونااا
تُووسَ طُووووبى لِ.....ي
دُ ووو نَاااااا إيْ... لّيِ
آاامي.. نْ!

مقاطع من قصيدة طويلة